التناص القرآني في شعر عبد الجبار الفياض

الباحثة تغريد السيلاوي قسم اللغة العربية/جامعة فردوسي/مشهد/ايران
الأستاذ المساعد بهار صدقي قسم اللغة العربية/جامعة فردوسي/مشهد/ايران
الأستاذ المساعد مها خير بك ناصر قسم اللغة العربية/جامعة اللبنانية/مشهد/ايران

الملخص:-

التناص أحد موضوعات الشاعر الفياض الذي ورد في قصائده، فتمثل التناص عند شاعرنا بـ(التناص الديني) لثقافة الشاعر الدينية العالية ولمطالعته التراث والتأريخ الديني فتمثلت قصائده باتجاهها الديني وبأسلوب حديث معاصر عبر استحضاره شخصيات من الكتب الدينية وصياغة دلالات منها تلائم وقته المعاصر، ويبين من خلال هذه الأشعار تفاعله وابداعه في تناصه، وتوعيته للمجتمع الذي يخاطبه، فيستحضر الشخصيات الدينية المثرة التي تجذب انتباه القارئ كما يربط بين واقع هذه الشخصيات وبين الواقع الذي يمثله ويقرب بين الزمنين فيولد دلالات تشكو معاناة مجسداً الحلول بدلالات تناصية هدفها توعية المخاطب، فتمثل شعره بذكر شخصية أحد الأنبياء من خلال تضمين شعره آيات قرآنية، فكان اقتباسه الديني هو جوهر تناصه مع مراعاة الفرق بين المدة الزمنية للعصور بسبب تطور الحياة ووجود بعض الاختلاف، فحملت مفرداته دلالات لغوية ذات معانٍ متعددة، وأشار إلى أفكار جديدة عصرية متقدمة من خلال صياغة الكلمات بقوالب شعرية مستوحاة من التناص الديني بصورة أشارات واضحة ذات رموز دينية شديدة التأثير بأفراد المجتمع، كما يسعى منها إلى أخذ العبر من الماضي وتغيير الواقع الحالي الذي يعاني من الظلم.

كلمات مفتاحية: سيرة الشاعر،مفهوم التناص،التناص الديني،قصيدة الصديق.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/٠٣/٠٦ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٢/٠٥/١١

Quranic intertextuality in the Poetry of Abdul-Jabbar Al-Fayyad

PhD Res.:Taghreed Al-Silawi
Asst. Professor :Bahar Siddiqi
Asst. Professor: Maha Khair Bey Nasser
Department of Arabic Language and Literature at the Lebanese University

Abstract:

Intertextuality is one of the topics of the poet Al-Fayyad, which was mentioned in his poems. It represents the intertextuality of our poet with (religious intertextuality) for the poet's high religious culture and for his reading of religious heritage and history. His poems were represented in their religious direction and in a modern, contemporary style by evoking personalities from religious books and formulating indications from them that fit his contemporary time, and shows through These poems are his interaction and creativity in his intertextuality, and his awareness of the society he addresses, so he evokes influential religious figures who attract the attention of the reader, as well as linking the reality of these characters with the reality he represents and bringing the two times closer, generating signs that complain of suffering, embodying solutions in intertextual meanings aimed at educating the addressee. The prophets included in his poetry Qur'anic verses, so his religious quotation was the essence of his intertextuality, taking into account the difference between the time period of the ages due to the development of life and the presence of some difference. Religious intertextuality in the form of clear signs with religious symbols that have a strong influence on members of society, as it seeks from them to take lessons from the past and change the situation.

Keywords: Morpheme, philology, diversity, exponential term.
Received:06/03/2022 **Accepted: 11/05/2022**

المقدمة:-

يعدُّ التناص مفهوماً نقدياً حديثاً ظهر على يد بعض النقاد، واستمد مفهومه من النصوص الشعرية عند احتياج الشعراء اليه في تأويل بعض النصوص، فيعطي التناص المعنى الأصلي مع دلالة التأويل التي يشير اليها الشاعر بإشارات ودلالات مختلفة، وظهور هذا المفهوم النقدي الحديث ساعد الشاعر على الاستعانة بتراثه القديم وأعادة صياغته بأسلوب يلائم عصره ويتناغم مع لغته التي يخاطب بها سامعيه، ووردت تعريفات متعددة للتناص أو النص وحسب آراء منهجية ونقدية، فكان كل نص يشير إلى غرض محدد يتقاطع مع أغراض أخرى ليصل إلى الهدف المطلوب توضيحه للمتلقي، على الرغم من أن التناص لم يحظ باهتمام النقاد والشعراء في العصور الأولى ، ألا أن أهميته بعد العصر الحديث لم تكن أهمية محدودة أو مرتبطة بالسرقات أو الاقتباس أو التضمين وغيرها من المصطلحات، أنما أصبح علماً مستقلاً بذاته على يد الباحثة جوليا كرستيفا فجعلت منه علماً يدرس توليد الأفكار وتعدد الإشارات من لفظة واحدة تدل على معانٍ متعددة وبدلالات واضحة ، فيتناول هذا النص المفردات الشعرية ويعمل المتلقي والقارئ على فك الشفرات اللغوية وتوضيح دلالاتها الأدبية، فالتناص ضمن مفهومه النقدي هو تفاعله مع نصوص سابقة وتزامنه معها. وتضمن البحث توضيحاً للتناص لغة واصطلاحاً، ثم الإشارة إلى نبذة عن الشاعر المعاصر الفياض وعلاقته بالشعر، وما دور التناص في اشعاره؟ وتطرقنا إلى معرفة علاقة الشاعر بالتناص وسبب اتجاهه إلى التناص الديني مع تحليل قصيدة من اشعاره ثم الخاتمة والمصادر.

١-سيرة الشاعر الأدبية.

عبد الجبار الفياض شاعر سومري وهو من الشعراء المعاصرين الذي مازالت أنامله مستمرة بكتابة الشعر" ولد عام ١٩٤٧م وكانت ولادته في جنوب العراق محافظة ذي قار المعروفة باسم

(الناصرية) في قضاء سوق الشيوخ وهذه المدينة من المدن الاثرية المعروفة تاريخيا بمنطقة سومر وسميت بهذا الاسم نسبة الى سكانها الاصليين وهم السومريون الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة المعروفة آنذاك بـ(بلاد سومر) أحب الشعر وتأثر بالشعراء الاقدمين والمعاصرين منهم (بدر شاكر السياب، الفيتوري، محمود درويش، وغيرهم) مزج بين التفعيلة والنثر، واستفاد من الشعر الجاهلي ولا سيّما في لغته الفصيحة وبلاغتهِ الراقية وقوة سبكه ولكن الشاعر الفياض على الرغم من حبه للشعر الجاهلي الا انه انتهج منهج المعاصرين في كتابه الشعر مع استفادته من الشعر الجاهلي وسار مسار شعراء العصر الحديث مع مراعاة حسن اختيار الالفاظ وسهولة اللغة بما يلائم عصره"[١] فكان شعره بكل انواعه يحمل معاني ودلالات ذات طابع ديني وكما

تميز شعره بقوة بلاغية جسدت الواقع الذي يعيشه الشاعر من خلال الربط الديني بين ذكر الآيات القرآنية وبين مقطوعاته الشعرية.

٢-التناص

٢-١. التناص لغةً:

ورد في معاجم اللغة العربية كلمات قريبة او مشابهة لمصطلح التناص ولكنها قريبة في حروفها بعيدة في معناها، فمثلا في معجم لسان العرب وردت كلمة " (نصص) النِّصُّ: رَفعُك الشيء. نص الحديث يَنُصُّهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وكُلُّ ما أُظهِرَ، فَقَد نُصَّ، وقال عمرو بن دينار: ما رأيتُ رجلاً أنص للحديث من الزُّهريّ، أي أرفعَ لهُ وأسندَ."[٢] وفي كتاب العين " ونصُّ كلّ شيء مُنتهاه، وفي الحديث: (إذا بَلغ النساءُ نَصَّ الحِقاقِ فالعَصَبةُ أولى)، أي إذا بَلَغَت غايةَ الصِّغَر إلى أن تدخُلَ في الكِبَر فالعَصَبةُ أَولى بها من الأُمِّ، يُرِيُد بذلكَ الإدراكَ والغايةَ. وقوله: أحَقُّ بها، أي يحفظُونها وكَينونَتُها عندهم. وأَنصَتُّه: استَمَعتُ له، ومنه قوله سُبحانه وتعالى: (أَنصِتُوا) [الأعراف: ٢٠٤]. وقوله تعالى: (لات حينَ مَناصٍ) [ص:٣] أي لاحينَ مَطلَب ولاحين مُغاث، وهو مصدر ناصَ يَنُوصُ وهو المَلَجأُ. "[٣]

٢-٢. التناص اصطلاحًا:

" لقد صيغ مصطلح (التناص) بزيادة ألف وتاء على الأصل (نص). وكل زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى، وهذه الزيادة تخبُرُنا عن تناص اثنين أو أكثر، وهو ما يعني المشابكة والتداخل والاتصال، فكأنه الاستمرارية الزمانية، وهي ما يحققه قولنا تناص النَّصَّان "[٤] "يعد التناص مصطلحاً نقدياً شكّله التأمل العميق في النص وإنتاجه، هذا التأمل الذي واكب فلاسفة العالم – في شرقه وفي غربه – فضلا عن النقاد والباحثين."[٥]

" "التناص" أو "تداخل النصوص" كما هو معروف، هو استخدام النصوص التراثية المختلفة للشاعر أو الأديب بشكل فني لإغناء النصّ الشعري، وهو الذي يمنح النصّ ثراء وروعة. ويعدُّ التناصّ من أبرز التقنيات الفنية التي يهتم بها الشعراء المعاصرون اهتماماً بالغاً. ومصطلح التناص مصطلح حديث في الآداب العالمية. ولكنّ الباحث في المؤلفات النقدية العربية القديمة يلاحظ أشكاله المختلفة ذات تسميات أخرى كـ "السرقة والاقتباس والمعارضة والتلميح، فكل هذه المصطلحات القديمة تكاد تقترب من المصطلح الحديث"[٦]وكان ظهور التناص في القرن التاسع عشر ثم ازدادت الدراسات حول هذا المصطلح في الستينيات من القرن العشرين، وهذا ما لاحظناه في كتب التناص ومن خلال الاطلاع على مؤلفات النقاد إلى أن ظهر بصورة مباشرة بمصطلحه النقدي المعروف بـ"التناص" على يد النقاد في العصر الحديث.

٢-٣. التناص الديني.

وهو نوع من أنواع التناص "ونعني بالتناص الديني تداخل النصوص الدينية المختارة – عن طريق الاقتباس أو التضمين من القران الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية مع النّص الأدبي بحيث تنسجم هذه النصُّوص مع السياق الأدبي لتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً."[٧] وأهم نوع استند عليه الشاعر عبد الجبار الفياض هو التناص الديني من القران الكريم " إذ يعدُّ القران الكريم المرجع الأول ، والنص السامي المقدس الذي يلجأ اليه معظم الشعراء، فهو يفيض بالصياغات الجديدة والمعاني المبتكرة التي تعكس حقائق النفوس وخلجات القلوب فالاقتباس منه يشكل تفاعلا خلاقا، تنتج عنه أشكال فنية تطرب لها الاسماع وتطمئن لها القلوب ."[٨] و" ان القران مرتبط بعصره وأحداثه ووقائعه وطبيعة مجتمعه، بل إنه يواكب ذلك أحياناً مواكبة آنية، فينزل القران بشكل مباشر في شأن بعض الأحداث، وأسباب النزول شاهده على ذلك، فإن طبيعة النص القرآني وأسلوبه يتصفان بالعمومية والشمولية حتى مع معالجته قضايا عصره ومجتمعه. "[٩] "وللتناص القرآني ثراؤه واتساعه، إذ يجد الشاعر فيه كل ما قد يحتاجه من رموز تعبر عما يريد من قضايا من غير حاجة الى الشرح والتفصيل، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحتويه من قصص وعبر، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي اللذين يتميز بهما الخطاب القرآني"[١٠] اما عن مفرداته فإنَّ " المفردات القرآنية مفردات مختارة منتقاة، ولا أدل على ذلك من أننا حين ننظر في المعاجم اللغوية تجدها زاخرة بالألفاظ الكثيرة فالقاموس المحيط يشتمل على أربعين ألف مادة، بينما يشتمل لسان العرب على ستين ألفاً، ولكل مادة اشتقاقاتها الكثيرة المتعددة، وهي من حيث الفصاحة والخفة ليست سواء أولاً، وقد تدور الكلمات الكثيرة على معنى واحد ثانياً، أما كتاب الله فيخص كل لفظ بمعنى لا يتعداه"[١١] فاتسع التناص الديني في هذا العصر الحديث وظهر العديد من الشعراء الذين كتبوا قصائدهم عبر التناص مع السور القرآنية ومحاولتهم الاهتمام بالأشعار الدينية لتأثرهم بالكتب السماوية ، فيحاول الشاعر ان يدعو المجتمع الى التغيير من خلال تناصه ببعض الآيات وتضمينها في شعره وتقريبها من الواقع الاجتماعي، وللشاعر الفياض قصيدة في التناص القرآني التي ضمنها قصصاً وروايات تأريخية ولكن بقيت في أطار التناص القرآني وكان تضمينه لهذه القصص التأريخية والأسطورية بهدف ضرب الأمثال والتعلم من الأخطاء التي وقع فيها الذين سبقوهم، فيقول الفياض في قصيدة (وطني أيّها الصديق).

وطني أيها الصدّيق[١٢]

قطعٌ من ليلٍ . . .

لا تغفلُ عنها جارحة . . .

تتجافى بين الغالبِ والمغلوب

وكأن آلامَ كلَّ التُعساءِ أتى بها آصف . . .

ساعة ِانفصلَ عن عالمٍ مستسلمٍ لتنبؤاتِ العرّافين . . .

يُودعُها ويمضي . . .

ولا مفرَّ

فالهُدهدُ

بين جناحِه وسيفِ نبيّ . . .

يستلهم الفياض عنوان قصيدته (وطني أيّها الصديق) من القران الكريم ومن قوله تعالى (يوسُفُ أَيُّهَا الصِّدّيقُ أَفتِنا ....)[١٣] فيتناص ليبين الاوضاع الاجتماعية في وطنه من خلال قصة النبي يوسف(عليه السلام) "كما مثلت القصة بُعدها الاجتماعي، إذ ألقت الأضواء معاناة المجتمع ، وقيل ليوسف: (أَيُّهَا الصِّدّيقُ) لأنّ الصدق والإحسان من العلامات المميزة لخلقة الاجتماعي الدقة والعلم والخبرة والإحاطة، في مجال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي"[١٤] فجاء بلفظة (أيها الصديق) للاستدلال على ما تحتويه هذه اللفظة الكريمة من الصفات التي ذكرناها." ولم تخل القصة من صور البلاء والألم، لكنها لم تكن في نظر من عاناها (مآسي)، فقد قابلوها بالصبر الجميل، كما صبر يوسف على البلاء والفتنة والسجن، دون أن تبدو منه بادرة تذمُّر أو تمرد، وصبر أبوه على فراق ابنه الأول وارتهان ابنه الثاني غير يائس من روح الله ورحمته"[١٥] فلم يكن هذا التناص مجرد نقل الفاظ من القصة انما أراد سياقها بدلالة زمنية جديدة مشابهة لما مرَّ به الصدّيق ولكن بزمن مختلف أعاد سياقها بإنتاج جديد حيث احتوت على دلالات تضمنت التعبير عن واقع مجتمعه المأساوي الذي يعاني من الظلم والاضطهاد فيطلب منهم ان ينظروا إلى ما يتعرضون له من بلاء كنظرة النبي يوسف (عليه السلام) وان يصبروا ويناضلوا ، فكانت العبرة هي الصبر على البلاء والظلم والجهاد وأخذ العبرة والخبرة والدقة من قصص السابقين.

ويقول الفياض أيضا:

أو تندملَ في كربلاء جراحٌ

بحجمِ كلِّ آلامِ الكونْ . . .

مذْ قادَ غرابٌ قابيلَ

ليومٍ ينحني فيه لاثنين

لربّهِ

ولحجرٍ لا زالَ يذخره بعضُ بنيه؟

" كربلاء أرض مقدسة لها ميزتها وشرفها في الإسلام، فكانت أرض الله المختارة، والأرض المقدَّسة المباركة، فجرت على ألسنة الشعراء وأقلام الكتّاب من بعد الواقعة وإلى يومنا هذا ونالت الشرف العظيم في الإسلام بالإمام الحسين (عليه السلام) "[١٦] فتناص الفياض مع اللفظة الدينية بكامل دلالاتها فتناغم في أسطر مقطعه الشعري من هذه الدلالات فاحتوت على رموز ومعانٍ قيمّة، وهي فكرة دلّت على التضحية والفداء ونصرة المظلومين وليس الغرض من ذكر هذه اللفظة للبكاء فقط وإنما لأخذ العبر والدلالات التي تحملها.

أيُها السائرون نحو مغيبٍ لا رجعةَ منه . . .

كيف أنتم؟

كيف غادرتُم مكاناً

كنتم فيه حيتاناً

التهمتْ حتى يقطينَ الشاطئ؟

ما شاءتْ نزواتٌ حُبلى . . .

ورضيتم أنْ تفقدَ الأشياءُ اسماءَها . . .

تَركتم أمْ تُركتم؟

رَجمتم أم رُجمتم؟

يخاطب الفياض شباب المستقبل الأبطال الذين يتقدمون للجهاد والدفاع عن وطنهم دون خوف أو تراجع فيتناص في قوله (كنتم فيه حيتاناً) مع الآية القرآنية (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)[١٧] فيتناص مع معنى الآية كاملاً مع الآية التي فسرها العدوي عندما قال:"أنه لما وقعت القرعة على النبي يونس (عليه السلام)أبتعله حوت من البحر الأخضر وأمره الله لا يأكل له لحماً ولايهشم له عظماً ، وقيل أن ذلك الحوت أبتلع حوتًا آخر أكبر منه وحُسِب أنه مات ولكن عندما حرك جوارحه خر ساجداً لله ، فالله مجيب الدعوات كاشف الكربات ويكشف الضر والبلوى وسامع الأصوات وإنْ ضعفت"[١٨] فيأتي تناصه تناصًا كاملا بالمعنى وهو بأن رحمة الله قريبة من المؤمنين المظلومين فقط يحتاج إلى صبر على البلاء كما صبر النبي يونس في بطن الحوت واستغفر ربه فاستجاب له الله فانه سيستجيب دعواتكم ويبنصركم ويشد من أزركم وهذا أيضًا أمتحان لكم والله لاينسى عباده كما رأينا في قصة النبي يونس (عليه السلام)، وكذلك في قوله (التهمتْ حتى يقطينَ الشاطئ؟) مع الآية القرآنية (وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ)[١٩] " إنّها (شجرة اليقطين) تظله بظلها الظليل لأنها باردة الظلال ولا يسقط عليها ذباب ولا يجتمع عندها ولأنها من أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً."[٢٠]، وهذا دليل على

تناصه بالمعنى والإشارة إلى دلالات البشرى والنجاة مثلما نجى الله النبي سينجيكم وسيمنّ عليكم بالحياة الكريمة بعيداً عن الخوف والظلم.

أتذكرون كيف سلختُم جلدَ الأيام؟

فكانتْ هياكلَ بؤسٍ . . .

فرائَد من دهر . . .

لا شكَّ

أنَّكم وقعتم في دائرة بناءِ المجهول . . .

لا برزخَ بين حاءٍ وقاف...

فهما ولا ريبَ

لحُفاةِ الارضِ فقط . . .

يذكرهم بأيامهم التي تميزت بالانتصارات وكيف لم توقفهم قوة كأنهم سلخوا الأيام مثلما تسلخ الجلود وتنتزع عن الأجسام وهذا تناص بالآية القرآنية (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ)[٢١] فيشير بحروف مجهولة متناصة مع الآية بكلمة (البرزخ) الذي يدلّ على عدم الامتزاج ، فلا يطغى أحدهما على الثاني وهذا ما كان يرجع إلى الأعجاز العلمي التي تدل على عظمة الله وقدرته في هذا الأعجاز، الفياض يمازج صورته الشعرية مع هذه اللفظة القرآنية ليصنع صورة متجددة لها نفس المعنى فيدعمها بصلتها بالأبطال المقاومين ،وأن الأبطال أيضاً مهما اشتبكوا أو وقعوا في اختلاط مع الأعداء فهم لا يتشابهون مع العدو فهم يبقون متميزين وكان بينهما هذا البرزخ ، وإنهم بلا شك هم من سيعيدون حقوقهم المسلوبة ويحررون وطنهم.

ندمٌ

كذبٌ

ألمٌ. . .

(جاءوا أباهم عِشاءً يبكون)

يوسفُ أُحيطَ به . . .!

بيعَ . . .

سادَ. . .

عفا . . .

فهل تكونُ يا وطني يوسف؟

وعلى خزائنك قائماً؟

يحرك الشاعر وجدان الشعب مستمراً بالتناص مع سورة النبي يوسف (عليه السلام) ليجسد الواقع الاجتماعي في العراق فيرمز إلى الحزن والألم والعبرة عبر قوله (كذبٌ) مع الآية القائلة:(وَجاءوا عَلى قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ...)[٢٢] عندما بدأت رحلة حزن النبي يعقوب (عليه السلام) على فقدان ابنه فيتناص بدلالات تناسب صورته الشعرية مع الآية الكريمة، فيشبه حالة الحزن الذي يمر به وطنه من تردٍ في أوضاعه الاجتماعية والسياسية شبيه بحالة الحزن التي يمرّ بها النبي يعقوب (ع) على فراق أبنه، ويتناص مع الآية القرآنية (وَجاءوا أَباهُم عِشاءً يَبكونَ)[٢٣] تناصًا قرآنيًا كاملًا فيأتي بالآية كاملةً ويضمنها في أسطره في مقطعه ويجعلها وفق سياقه الشعري ليلائم بما يشعر به وفق معنى الآية الأصلي فيرسم لنا الفياض العلاقة بين حزنه وألَمه على بلده (العراق) مع لحظة مجيء أخوة يوسف وهم يبكون على أخيهم وحزن أبيهم بما أصابه ابنه في تلك اللحظة، ويشبه الحكام الظالمين الذين يقودون الوطن ويحاولون أن يسيطروا عليه وينشرون الظلم والحزن بأخوة النبي إذ لم يرحموا أخاهم الصغير وأبعدوه عن أبيه وهم كذلك لا يرحمون أحداً ويحاولون أن يجعلوهم أذلاء أو يتغربوا عن الوطن في سبيل الهروب من الظلم، ثم ينتقل التناص المباشر مع الآية القرآنية إلى التناص غير المباشر بعبارة (وعلى خزائنك قائماً) ليتناص مع قوله تعالى على لسان يوسف: (قالَ اجعَلني عَلى خَزائِنِ الأَرضِ إِنّي حَفيظٌ عَليمٌ)[٢٤] فيتناص مع الآية بظهور من هو شبيه بيوسف الصّديق ويكون محافظًا على ممتلكات العراق وخيراته وسيحميه من سُراقه وسيمسك بأمور الوطن كما أمسك النبي يوسف (عليه السلام) أمور مصر في زمن القحط وحافظ عليها، فالشاعر ينتظر هذا اليوم الذي تتغير به أحوال وطنه فاحتوت لفظة (قائماً) دلالات تشير إلى الولاية والقيادة تدبير الأمور وجعلها تحت طوع القائم عليها وتدبيره .

أيُّها العائدُ

من وراءِ أسوارِ يأجوج ومأجوج...

متى يُغنّيك الشّعراءُ بأطيافِ لياليك الألف؟

متى تكونُ سواداً ينامُ على جفنيْك القمر؟

عباءةَ ظلَّ لمسافرٍ

وآبق؟

ويتتبع الفياض المقطوعة الشعرية السابقة بالتحدث عن الشخص الذي يدير أمور ممتلكات العراق الذي سيحفظها ويصونها ويشبه ذلك بالعائد بمثل الذي يأتي من بعد الصعوبات والمعاناة وانتظاره يحتاج إلى صبر

وتحمل الألم فيشبه صعوبة وصول الشخص المستقيم إلى زمام أمور العراق كأنه يأتي من وراء اسوار ليس من السهولة اجتيازها إلا بشق الأنفس فيتناص بقوله (من وراءِ أسوارِ يأجوج ومأجوج. . .) مع الآية (قالوا يا ذَا القَرنَينِ إِنَّ يَأجوجَ وَمَأجوجَ مُفسِدونَ فِي الأَرضِ فَهَل نَجعَلُ لَكَ خَرجًا عَلى أَن تَجعَلَ بَينَنا وَبَينَهُم سَدًّا)[٢٥] وهذه الآية التي تدلُّ على إنّ " أن الله خلق يأجوج ومأجوج وسلالته على هيئة ميزتهم عن إخوانهم، وركب فيهم من الصفات والخصائص ما لا يصدر عنه إلا كل ما يتسم بالشدة والاضطراب والسرعة، فشبهوا بالنار في اشتعالها واضطرامها وتوهجها، وجعل كل ذلك قوام لتكوينهم النفسي والروحي، ومبنى لنظام أجسامهم وملامحهم، وأظهر ما ركبه وركزه فيهم للوجود فخرجوا وقد اصطبغوا بصبغة التأجج والأجيج، ومنها انتزع اسمهم فكانوا اسماً على مسمى"[٢٦] فيتناص من هذه الأقوام الوحشية والشراسة والقسوة التي يتعاملون بها مع الناس دون التمييز بين القوي والضعيف والكبير والصغير فهم أقوام همجية يقتلون كل من يصادفهم، وينشرون الخراب والفساد والقتل بكل مكان ، فهذه الدلالات التي يشير إليها الفياض ويشابهها بالواقع الاجتماعي وما يعانيه المجتمع من الفساد والدمار الذي يشهده بلد الشاعر، وينبههم بان القادم من بعد هذا الفساد والفوضى هو مستقبل مزهر يسوده العدل والمساواة وسيكون نهاية الظلم والقتل، كما أنهى ذو القرنين على أقوام يأجوج ومأجوج ببناء السد ومنعهم من الخروج والإغارة على العالم .فيستمد دلالاته التناصية من الآية الكريمة التي تبين لنا أقوام قبيلة يأجوج ومأجوج.

متى تجرفُ سنيَ قحطٍ

تخزِّنُ جوعاً في الأفواه . . .

وتبدّلُ خارطةَ الدّمعِ المصبوغِ بألوانِ العيد . . .

ومن عينيك تزيلُ رمداً

شاهَ قريبٌ

وغام بعيد . . .

وما وجعٌ حملَهُ غيرُك بمثلِهِ . . .

جافى جنبيك خدْرُ مَنْ سبقَهُ ظلُّهُ . . .

متى تذهبُ نحو الشمس

تستحمُّ بعينِ الشمس . . .

ويتناص الشاعر بصورة غير مباشرة من قوله (متى تجرفُ سنيَ قحطٍ) مع الآية (وَلَقَد أَخَذنا آلَ فِرعَونَ بِالسِّنينَ وَنَقصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَذَّكَّرونَ)[٢٧] بصورة إشارية يستلهم فكرته التناصية من الآية فيشير إلى حالة من الجوع والقحط والفقر ويتمنى مجيء يوم زواله ، فتتبدل دمعة الحزن بالضحكات والأفراح الحقيقة التي نراها بعيون الناس وعلى وجه الخصوص في وجه الأطفال عندما يسمعون بقدوم العيد ، ويتناص الشاعر بقوله (نحو الشمس) مع قوله تعالى:(حَتّى إِذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ وَجَدَها تَغرُبُ في عَينٍ حَمِئَةٍ ..) يتأمل الشاعر بانبعاث حياة جديدة فأستخدم لفظة (الشمس) لأنها مصدر الأمل والحياة لكل أبناء البشر، و يستمد دلالاته من الآية التي تشير إلى انتهاء عصر القتل والتعذيب، فيصنع لوطنه حياة جديدة بعيدة عن الظلم والخوف.

ولا تَدَعُ بطوناً تنتفخُ في زمنٍ مثقوبٍ . . .

منكسِرِ المرايا . . .

لا تلتقي فيه الإبعاد

إلاّ لتكونَ صفراً

يبتلعُ الأَعداد . . .

متى. . .؟

متى تخلو لوجهِ أبيك؟

يوسفُ

أيُّها العزيز . . .

تعاورتْكَ وجوهٌ

غارَفيها كلَّ حياء . . .

قرارٌ

ألقاك في قرار. . .

رفعتْك أجنحةُ الرّحمة

فتسلقْتَ ما رسفَ أيوبُ تحته. . .

حملتَ جُراحاتِ معدودٍ بخس . . .

وتحملتَ قدراً

فوق كلِّ أقدارِ مَنْ قُلِبَ له ظهرُ مِجَن . . .

يبدو في هذا المقطع أن الشاعر أورد الألفاظ التي تعبر عن الثورة والصبر فيتناص بقوله (متى تخلو لوجهِ أبيك؟) مع الآية الكريمة (... يَخلُ لَكُم وَجهُ أَبيكُم)[٢٨] هنا اشارة إلى إزالة العمى عن وجه أبيه حين يخلو له لأن هذا الوجه قد أصابه العمى لكثرة البكاء عليه، ويشير إلى دلالات الخير والفرح والبشرى بخروج بلاده من عهد الظلام إلى عهد جديد يسوده النور، ويستبشر الفياض بمعجزة تزيل الحزن عن بلاده مثل معجزة النبي يوسف بإزالة العمى عن أبيه، وإنَّ الله سينصرهم ويرفع من قدرهم بمرور السنين، ويشير إلى النبي أيوب (ع) ليتناص مع قصته التي ضربت أروع مثلاً في الصبر على ما فقده ولم يبقَ معه سوى زوجته تواسيه، فيولد الفياض دلالات تشير إلى الصبر على تحمل البلاء ولينالوا ثمرة صبرهم كما منَّ الله على الذين من قبلهم، ولا يجزعون من طول البلاء .

ليت ما عندي من سنواتِ شعيب

بقية . . .

لأرى أيّامَك

تولدُ تحت ظلالِ العشقِ

وعبقِ الّشعر . . .

لأرى لسانكَ

لا يُشدُّ بحبلٍ من مَسَد

ولا تُعصبُ عيناك عند الفجر

لأراك نخلةً

تُعطي تمراً ولا تنحني . . .

تزولُ عن عينِ مَنْ قاسمَك الحبلَ السّري. . .

لأرى غشاوةً

أنْ تمسح على رؤوسٍ

فقدتْ أعمدةَ الخيمة ...

ويتناص الفياض بالتمني ، وأحقاق الحق ونشر العدل أمور الحلال وترك الغش والحرا م وتتولد هذه الدلالات من ذكر لفظة (شعيب) في أول أسطر المقطع حيث كانت الحكمة من قصة النبي شعيب (عليه السلام) ليشير إلى العدالة، ويعتبر الميزان هو رمز للعدالة، فكان قوم النبي شعيب لا يقسطون في الميزان ولا يعملون بالحلال

والحرام " كل هذه الأسس والقواعد الاقتصادية في الإسلام للمكاييل والموازين ذكرت في قصة شعيب، وفي قصة يوسف عليهما السلام ، وقد أشارت قصة شعيب إلى الركيزة الأساسية وهي العدل والحق ، وقد بين الله في كتابه العزيز أن الحق والعدل هو أساس الموازين، كما أن الوفاء ، والقسط، والأمانة، والاستقامة، والصدق، والتوكل على الله ، والتوفيق من الله . هي من صفات المؤمن التي يجب اتباعها من أجل إقامة قاعدة إسلامية في اقتصادنا."[٢٩] وبإشارات الشاعر التناصية لهذه القصة ويولد منها فكرة إقامة مجتمع سليم على أساس العدل والمساواة ويحذرهم الشاعر بصورة غير مباشرة من تكرار قصة قوم شعيب وظلمهم للناس وغضب الله عليهم، ثم ينتقل الفياض إلى قصة قرآنية أخرى فيقول (لا يُشدُّ بحبلٍ من مَسَد) ويتناص مع قوله تعالى (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)[٣٠] هذه الآية التي يتناص معها ليشير إلى العذاب والهلاك فيتمنى الشاعر أن تكون بلاده بعيدة عن هذا العذاب وأن يتنبه الظالمون إلى ظلمهم، وقوله (لأراك نخلةً..) مع الآية القائلة " فالنخل هو النبات العراقي القديم الذي تحدثت عنه الاجيال وذكرته التواريخ القديمة وسار مع الدهر جنبًا إلى جنب فهو بحق النبات الإزلي. والنخلة شجرة مباركة دون سواها بين الأشجار وقد فضلها الله تبارك وتعالى وذكرها في أماكن كثيرة من كتابهِ الكريم فقد خاطب سيدتنا مريم العذراء للاستفادة منها كما جاء في سورة مريم في قوله تعالى (وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذعِ النَّخلَةِ تُساقِط عَلَيكِ رُطَبًا جَنِيًّا)[٣١،٣٢] فيتناص الفياض مع هذه الآية بإشارات تدلُّ على كرم بلاده وإنها قوية وشامخة مثل النخلة الشامخة التي تعطي تمراً ولا تنثني، وأن يمد أبناء وطنه ايديهم إلى هذه النخلة المباركة التي ذكرها الله في كتابه عندما طلب منها وهي في حالة الضعف أن تهز جذع النخلة وتأكل من ثمرها، فالفياض يرى بلاده شامخة وكريمة ولها عطاء مستمر مثل النخلة دون أن ينحي لأي قوة ظالمة، ويذكرنا بالإنسان الذي عندما يولد ينقطع عن حبله السري فيمر بمراحل حياته المختلفة وهكذا هو وطنه سيصل إلى الراحة والاستقرار بعدما مر بمراحل مختلفة من التعب والعناء.

أيّها العزيز.

أيّها العشقُ الأبدي . . .

تشرينتَ بي

كفكفْ دموعاً . . .

غسلتْ سنواتٍ عجافٍ

في شِعبِ أبي طالب . . .

وآهةً لا تسكنها قلبَك بعد . . .

فأخوتُك عادوا

إليك ساجدين . . .

يعقوبُ أنت

حين تبيعَ كلَّ الغمام . . .

ويوسفُ أنت

حين تشتري كلَّ المطر . . .

ويتناص بقوله (أيها العزيز..) مع الآية الكريمة (لَمَّا دَخَلوا عَلَيهِ قالوا يا أَيُّهَا العَزيزُ مَسَّنا وَأَهلَنَا الضُّرُّ وَجِئنا بِبِضاعَةٍ مُزجاةٍ فَأَوفِ لَنَا الكَيلَ وَتَصَدَّق عَلَينا إِنَّ اللَّهَ يَجزِي المُتَصَدِّقينَ)[٣٣] فيتناص الفياض فكرة الحزن ولوعة الفراق والفقر والقحط الذي يمر به بلده مع النبي يعقوب (عليه السلام) وعشقه الأبدي وحزنه على فراق النبي يوسف (عليه السلام) فصبره دموعه كانت هي سبب مجازاته بحدوث سنين حلم الملك بقدوم سنين القحط ثم يفرج الله عنهم لصبرهم ولإيمانهم " وإذا كان حزن الأب نوعاً من الانفعال المكبوت، فإنه لم يكن حزناً سلبياً قاتلاً بل كان حزناً إيجابياً غير منقطع عن الرجاء الشفيق في رحمة الله بدليل أنه عليه السلام ألحَّ على بنيه أن يذهبوا ليتحسّسوا من يوسف وأخيه وألا ييأسوا من روح الله تعالى."[٣٤] ويتناص الفياض بعبارة (إليك ساجدين) مع قوله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَخَرّوا لَهُ سُجَّدًا...) ليشير إلى جمع شمل الأب والابن ، وسجود الأخوة لأخيهم ، وهذا اللقاء كان نهاية الفقر والفراق الذي دام سنوات فاستحضار الأسماء الدينية والتحدث عن قصصها كانت عند الفياض للتقريب بين المأساة التي عاشها النبي وبين الواقع الذي يعيش به من ظلم وقهر وطغيان فعبر عن دلالاته في رسم مظلومية وطنه عبر تناصه الديني الذي صاغه ضمن مضمون جديد لتوليد مفردات من القصص يشير فيها إلى دلالات: الصبر على المصائب، انتظار الفرج، عدم اليأس من الأمل المستقبلي، الظلم وعدم ادامته، وحزن يعقوب هو شبيه بحزن الوطن ويوسف هو البشرى والأمل والمستقبل الذي تناص به لينير الدرب لوطنه، فهو كان مثل المطر الذي أحيا به الله الأرض الميتة ويتأمل بشباب المستقبل هم الأمل في الأحياء والتجديد بوطن جديد خالي من الهموم والمواجع.

ونستنتج من القصيدة النثرية للفياض أنه تناول التناص بأنواع متعددة كما تطرق إلى استلهام القصص التأريخية والاقتباس من القران وسياق الألفاظ بما يلائم شعره عن طريق التناص الذي يولد من خلاله أفكار ودلالات جديدة يستمدها من الآيات القرآنية والقصص والعبر الدينية، ليواسي الناس على واقع العراق المؤلم ويستعين تحديداً بقصة النبي يوسف على الرغم مع ذكر الكثير من القصص والروايات والمسرحيات في قصيدته ألا أنه كان قريب الشبه من قصة النبي يوسف (عليه السلام) وما عاناه من ألم الفراق والبعد عن

أبيه، ويناشدهم بالتحلي بالصبر مثلما صبر النبي يعقوب (عليه السلام) الذي كان مفجوعاً بفقدان ابنه " وإذا كان الأب المفجوع قد تجرَّع مرارة الحزن والأسى فإنه لم يتمردَّ أو يتذمَّر أو يرفض حكم القدر، بل إنه كظم أساه وبث شكاته إلى الله وحده"[٣٥]وقد تناص مع كثير من الآيات القرآنية التي وردت في سورة يوسف، كما تناص مع الآيات الأخرى ولكن بصورة أقل.

فجرى توضيح الفياض للواقع المؤلم الذي يعيشه أبناء وطنه (وطن الأنبياء والحضارات والأساطير) فجعل من نصوصه الشعرية ما يناسب واقعه بصورة تماثل الآيات التي تناص معها، وهذا يدل على قدرة الشاعر التناصية في توليد نصوص ذات دلالات وتوجيهات احتوت العبر والحث على الصبر وان يجعلوا حزنهم وشكواهم لله وان يأخذوا العبرة من الأنبياء الذين ذاقوا مرارة الحزن والأسى وبثوا شكواهم لله، فيحفزهم بدلالاته التي تبث بهم الطاقة الإيجابية ليتمكنوا من تكوين واقع جديد بعيد عن الظلم والحرمان " كما إنَّ الله سبحانه قد يشاء توجيه الأقدار الكونية والاجتماعية والفردية باتجاه متوافق ومنسجم مع أمل الإنسان المؤمن المتفائل برحمة الله المطمئن إلى عدله وحكمته، المتخذ للأسباب الضروريّة، وإذا كانت تلك الرحمة قد تجسمت في تأريخ الأنبياء بالمعجزات وخوارق العادات والقوانين الموضوعية الكونية المألوفة، فإنها يمكن أن تتجسَّد في هذا العصر بمواهب إلهية غير منظورة، كأن يلقي الرعبّ في قلوب الأشرار، أو ينزل الأمن في أفئدة الطيّبين فتنتظم انفعالاتها في السَّراء والضّراء وحين البأس، أو يشاء تحرك بعض القوى الكونية متزامنة مع وقائع الحياة لتسهمَ في دعم مسيرة الصالحين وقمع فجور الظالمين"[٣٦]

النتائج

التناص من الموضوعات النقدية التي اختلف حولها النقاد فوردت قديماً بتسميات مختلفة إلى أن توصل النقاد في العصر الحديث إلى ثبوتهم على أنه مصطلح يتم من خلاله توليد دلالات جديدة يشير من خلالها إلى المعنى المحاول الوصول إليه، فورد التناص في الشعر بتفرعاته المختلفة.

أما شاعرنا الفياض الذي عرفت أشعاره بطابعها القرآني، فتناص بقصائده مع الآيات القرآنية وكان للشاعر المملكة الشعرية والنقدية في توليد الافكار والدلالات الجديدة التي تتفق مع ما يلائم عصره ويحاول من خلالها اصلاح الأوضاع في وطنه فيستشهد بقصص وردت في القران ليوجههم وليتعظوا ويأخذوا العبر من القصص التي ضمنها إلى شعره.

استخدم التكرار في بعض السور والآيات في شعره فابدع في توظيفها في أماكن مختلفة من شعره ولأغراض حيث كانت في كل مرة تختلف عن سابقتها من حيث المعنى والدلالة، ورغم تناصاته التاريخية والاسطورية

المختلفة فإنّه لم يخرج عن الاطار الديني في قصائده وجاءت قصيدته (يوسف أيّها الصديق) محتويه لكل الدلالات الزمانية والمكانية وتمكن من خلالها إيصال فكرته إلى أبناء مجتمعه وتمكن من بث روح الأمل فيهم كما وجدنا بان شعره كان على نهج الشعراء المعاصرين، فوردت قصيدته بلغة سهلة ومفهومة وقريبة من الواقع الاجتماعي .

الهوامش

[١] - اتصال مباشر مع الشاعر بتاريخ: ١١كانون الأول ٢٠١٩

[٢] - ابن منظور – لسان العرب – مجلد ٦- باب النون – ص٤٤٤١.

[٣] - الفراهيدي - العين – ج٤ –باب النون – ص٢٢٨.

[٤] - الحقيل، السرقات الشعرية والتناص . ص٤١

[٥] - د. معن ، تأصيل النص، ص١٥

[٦] - ينظر: سلبمى، طهماسى، التناص القرآني....، -ص٨٢-٨٣.

[٧] - الزغبي، التناص نظرياً وتطبيقاً ، ص ٣٧.

[٨] - الطيب، التناص في الشعر الجزائري، ص٥٥

[٩] - الشهري، التناص القران في دراسات الحداثة العربية والاستشراق، ص ١٢٨

[١٠] - ينظر: حصة البادي، التناص، ص٤١

[١١] - فضل حسن إعجاز القران، ص١٥٩

[١٢] - الفياض، ديوان (طقوس ممنوعة)، ص ٧-١٩.

[١٣] - سورة يوسف، الآية ٤٦.

[١٤] - ينظر: عبيد، قصة يوسف (ع) ، ص ٣٢.

[١٥] - ينظر: عبيد، قصة يوسف(ع)، ص٩٧-٩٨.

[١٦] - ينظر: النجفي، فلسفة نهضة الإمام الحسين(ع) ، ص ٣١٥.

[١٧] - سورة الصافات، الآية ١٤٢.

[١٨] - ينظر: العدوي، قصة النبي يونس (ع)، ص١٨-١٩.

[١٩] - سورة الصافات، الآية ١٤٦.

[٢٠] - العدوي، قصة يونس(ع)، ص٤٦.

[٢١] - سورة الرحمن، الآية٢٠.

[٢٢] - سورة يوسف ، الآية ١٨.

[٢٣] - سورة يوسف، الآية ١٦.

[٢٤] - سورة يوسف، الآية ٥٥.

[٢٥] - سورة الكهف، الآية ٩٤.

[٢٦] - ينظر: الماحي أحمد، يأجوج ومأجوج، ص٢٧.

[٢٧] - سورة الأعراف، الآية ١٣٠
[٢٨] - سورة يوسف، الآية ٩.
[٢٩] - ينظر: الحليسي، المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازيين، ص١٠٦-١٠٧.
[٣٠] - سورة المسد، الآية ٥.
[٣١] - سورة مريم، الآية ٢٥.
[٣٢] - العباسي، النخلة سيدة الشجر، ص٧.
[٣٣] - سورة يوسف، الآية ٨٨.
[٣٤] - عبيد، قصة يوسف (ع)، ص١٠٢.
[٣٥] - عبيد، قصة يوسف (ع)، ص٩٩.
[٣٦] - عبيد، قصة يوسف (ع)، ص١٠١.

المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- إعجاز القران، أ.د. فضل حسن عباس، جامعة القدس المفتوحة، جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة القدس المفتوحة ٢٠٠٧، الطبعة الثانية:١٩٩٧، بيانات النشر: الأردن-عمان- جامعة القدس المفتوحة.

٣- تأصيل النص (قراءة في أيديولوجيا التناص)، د. مشتاق عباس معن، الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م_ مركز عبادي للدراسات والنشر- دار الكتب صنعاء.

٤- التناص القران في دراسات الحداثة العربية والاستشراق، عبد العزيز بن سعد الشهري، درار الوعي للنشر والتوزيع – الرياض ١٤٣٧هـ، مركز الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

٥- التناص القراني في الشعر العراقي المعاصر، دراسة ونقد، على سليمي، عبد الصاحب طهماسي، اضاءات نقدية (فصلية محكمة) – السنة الثانية- العدد٦- صيف ١٣٩١هـ/ حزيران ٢٠١٢م

٦- التناص في الشعر الجزائري المعاصر، *قراءة في شعر مصطفى الغماري*، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد المعاصر، مشروع: المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب، إشراف الأستاذ الدكتور: هواري بلقاسم، إعداد الطالب: بوترعة الطيب، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة وهران- كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها- السنة الدراسية ٢٠١٠-٢٠١١.

٧- التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي -البرغوثي نموذجاً- الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م، دار الكنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية.

٨- التناص نظرياً وتطبيقياً- الدكتور أحمد الزغبي – ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠- عمان – الاردن – ط ٢ .

٩- ديوان (طقوس ممنوعة)، عبد الجبار الفياض، الطبعة الأولى:٢٠١٣، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد – شارع السعدون – قرب ساحة الفردوس.

١٠- السرقات الشعرية والتناص نقاط التقاطع ومسارات التوازي، إبراهيم بن سعد الحقيل، كتاب مجلة العربية٢٥٠، رئيس التحرير: محمد بن عبد الله السيف، الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٣٨هـ.

١١-فلسفة نهضة الإمام الحسين، أو نكبة التاريخ العظمى في سبط النبوة، تأليف: العلامة الشهيد السيد حسن السيد علي القبانجي النجفي، تقديم وتحقيق: مؤسسة إحياء التراث الشعبي، الطبعة الأُلى: ١٤٣٧هـ.

١٢-قصة النبي يونس (عليه السلام)، تأليف: مصطفى بن العدوي، الكتيبات الإسلامية، دار بلنسية.

١٣-النخلة سيدة الشجر، تأليف عبد القادر باش أعيان العباسي، مطبعة دار البصري – بغداد، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

١٤-النصُ الغائب، تجلّيات التّناص في الشعر العربي*دراسة*، محمد عزام، منشورات وموقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، دمشق ٢٠٠١.

١٥-النص والتناص، رجاء عبيد، السعودية، العدد رقم ١٨، رجب ١٤١٦هـ- ديسمبر ١٩٩٥م.

١٦-يأجوج ومأجوج (فتنة الماضي والحاضر والمستقبل)، د. الشفيع الملحي أحمد، كلية التربية – قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود – الرياض، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ.